جسر أحد على ملامسة هذا الموضوع في حضرته أظهر الامتعاض جهاراً وبدا فجأة متوعِّداً؛ وعندها يسكت رجل البلاط الجريء ويتهالك في حِمى «بادهامه» المرتعش.

وإذ كان الأمر كذلك فإنّ ابن (بابل) لم يعُد له بطبيعة الحال في أعوام الحرب هذه مكانه في البلاط. وكان العاهل قد قرّر ذلك واستنكف عن استشارته، من غير أن يرفع عنه مع ذلك حمايته. إخلاصاً للعهد المقطوع؟ لم يكن ذلك هو السبب الأوحد. فمنذ أن اندفع العاهل في حملاته أخذ يرى نفسه محاطاً بالكهنة المشجّعين على خوض الحرب، وكانوا يشغلون حوله كامل الحيّز الصالح للتنفّس، وكانوا قد احتلّوا مجلسه الخاص وديوان بلاطه وبيته العسكري حيث كانت آراء «كردير»، وقد أصبح «موبذان الموابذة» ـ أي رئيس الكهنة الأعلى ـ هي السائدة مذّاك بلا مُنازِع، إذ نادراً ما كان الفرسان والكَتَبَة يغامرون بمعارضتها. وإذا كان «ماني» حينذاك مذنباً في عين «شاهبور» فلأنه قد تركه وحيداً مع أشخاص كان يمقتهم أشد المقت، ولأنه لم يَعُدْ إلى جانبه ليعدّل كفّتي الميزان، وليتيح له الإصغاء أحياناً إلى صوت مختلف.

وكان يحدث للعاهل، عندما كان يخصّ نفسه ببضعة أسابيع من الراحة بين حَمْلتيْن، أن يسأل أحد أخصّائه، ابنه «هرمز» أو أخاه «فيروز» أو حتى «زراف» عازف عوده المفضّل، وهم ثلاثة مُعْجَبين مخلصين بِـ «ماني»، عمّا إذا كان أحدهم قد تلقّى حديثاً أخباراً عنه؛ وكانوا في العادة يجيبون بأنه في جولة مع مريديه في (شراسين) أو (پرسيديا) أو صوب (أبرشهر). أفكان ينبغي استدعاؤه؟ كان العاهل يُزيح السؤال بفرقعة سهلة بالأصابع ولا يلبث أن يُشيح عن مخاطَبه متحدِّثاً عن شيء آخر وكأنّ تنقّلات ابن (بابل) لم تكن تهمّه على الإطلاق، أو كأنّه لم يكن قد سأل قطّ أدنى سؤال عن هذا الشخص.

في حوالَيْ العام الرابع من الحرب تلقّى ملك الملوك من أحد عيونه، وكان قد جال في بعض الأقاليم الرومانية متنكّراً في زيّ تاجر، تقريراً مُقْنِطاً.